مفهوم طرائق التدريس وعلاقته بالتعليم والتعلم :

تأثر مفهوم الكثيرين لطرائق التدريس بما تراكم لديهم من خبرات استمدوها من خلال طبيعة ونوعية الأساليب والإجراءات التي يتم من خلالها وتحت قيادة المعلم تشكيل أو صياغة مجريات العملية التدريسية وانطبعت في أذهانهم تصورات مختلفة حول جوهر ومضمون الدرس ، وربما تحمسوا لأسلوب معلم ما أو لأساليب عدد من المعلمين تشكل لديهم من خلالها وعي طرائقي وتدريسي ما ، وتبلور لديهم بنتيجته تعريف ما لطرائق التدريس ربما يساعدهم لتطوير موقف ووجهة نظر من الاستنتاجات الأربعة السالف ذكرها .

وقد يجدون في الأفكار التالية التي سنعرضها حول التعلم وخصائصه والتعليم ووظائفه وكذا العلاقة التي تربطهما ببعضهما في العملية التدريسية عوناً إضافياً من شأنه المساعدة في توضيح الصورة وإجلاء الغموض حول ما يمكن اعتباره تعريفاً لطرائق التدريس .

التعلم وخصائصه :

يعتبر التعلم إحدى القدرات الأساسية للإنسان التي تتجلى وتتطور من خلال النشاطات التي يقوم بها لاكتساب الخبرات التي تساعده في تحرير نفسه من الجهل وإلى تشكيل وتعديل أو تغيير سلوكه .

(فالتعلم ضرورة للإنسان يكتسب من خلاله خصائصه الآدمية ويساعده في تحقيق ذاته وكيانه) (ناومان Naumann 1985 ص 109). فأينما يوجد الإنسان يوجد شكل أو آخر للتعلم تحدده طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه ومستوى تطوره الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية السائدة فيه .

ففي المجتمع المشاعي البدائي - على سبيل المثال - يحقق الإنسان شروط وظروف وجوده من خلال اكتسابه للخبرات البسيطة كصناعة أدوات الصيد وإتقان مهاراته والتي يتعلمها من آبائه وأفراد عشيرته بالدرجة الأساسية .

ومع تقسيم المجتمع إلى فئات وشرائح اجتماعية وتطور الحرف والمهن المختلفة وما أعقب ذلك من تطورات في مجالات الحياة المختلفة ، في الصناعة والزراعة وغيرها ، أصبح الإنسان عاجزاً بمفرده عن الإلمام بها ومواكبة تطوراتها ، وكان لزاماً عليه البحث عن الأساليب والوسائل التي تكفل له تجميع الخبرات الملائمة لبيئتهِ ولتحقيق شروط وجوده فيها .

وتطورت تبعاً لذلك مفاهيم التعلم وتنوعت نظرياته وطرائقه وظهرت الحاجة إلى تنظيمه وتحديد مجالاته بما يتناسب وحاجة المجتمع ومتطلبات تطوير الفرد فيه.

ولأن حدوث التعلم يقترن بشكل أو بآخر بفعل أو أفعال التعليم فإنه هو الآخر وللأسباب نفسها شهد تطوراً ملموساً ، وأصبح ضرورة لنشر الثقافة الإنسانية ، وهو ما أستدعى البحث عن شكل مناسب ينظم سريان عمليتي التعليم والتعلم ، وكذا الحاجة إلى أناسٍ مختصين لقيادتهما ، وتأسست لذلك المدرسة وتطور التعليم والتعلم النظامي على أنقاض التعليم والتعلم الطبيعي والذي بتأسيسه تطور مفهوماً جديداً للتعلم وهو التعلم المدرسي المنظم المخطط والهادف ، التعلم العلمي والذي يتميز بعدد من الخصائص فيما يلي عرض بأهمها :

1) التعلم تعاقب منظم ومخطط وهادف لنشاطات وأفعال التلميذ لاكتساب المعارف وتطوير القدرات والمهارات ، القيم ، القناعات والمواقف الخ والتي على أساسها يطور أو يعدل من سلوكه .

2) ترتبط أفعال ونشاطات التعلم بطبيعة الموضوع أو المادة التعليمية المراد اكتسابها ولذلك فالتعلم مرتبط إلى حد كبير بطبيعة البناء المنطقي للمحتوى التعليمي المراد اكتسابه . فمن أجل أن يحفظ التلميذ قصيدة لا يحتاج إلى التفكير في إيجاد حلول كما هو الحال بالنسبة لمسائل الرياضيات ، ولا يحتاج إلى إدراك الترابط كما هو الحال عند تشخيص ظاهرة تاريخية ، بل يحتاج إلى فهم المضمون كشرط ضروري لانطباع النص في ذهنه. ومن يرغب في تعلم السباحة مثلاً ينبغي عليه التمرن والتدرب على الحركات، ومن أراد إجراء تجربة ينبغي عليه البحث عن طرائق متنوعة للحل وهكذا.

3) التعلم إمكانية أو قدرة خاصة بالتلميذ لا يمكن للمعلم أن يتولاها عوضاً عنه ، إذ مهما أمتلك المعلم من خبرات وإمكانيات ومهما بذل من جهد في نقل المادة التعليمية فإن عملية اكتسابها تتوقف بالدرجة الأولى على استعداد

التلميذ وتجاوبه مع المعلم وعلى طبيعة النشاطات التي يؤديها للتفاعل مع المحتوى التعليمي المراد اكتسابه وعندما يصبح هذا المحتوى حاجة داخلية للتلميذ يهيئ قواه النفسية والبدنية للتفاعل النشط معه والاعتراف بـه كنشـاط ذاتي له والتي بدون مراعاتها، (*بدون مراعاة هذه الخاصية للتعلم*) والتي تتطلب تفاعل المتعلمين مع موضـوع التعلم ، وتسخير كل قواه من أجـله وبذل قصارى جهده لاكتسابه ذاتيًا يصعب الحديث عن التعلم الجيد والناجـح ومن يعتقد بأن أساليب الإكراه التي يمارسها (*بعض المعلمين وعدد من الآباء*) ظناً منهم بفاعليتها في حـدوث التعلم ليست سوى أوهام تعود بالضرر على الفرد نفسه،وكما قال أفلاطون قديماً " كل تعلم بالإكراه لا يستقر فـي الذهن ".

4) لا ينبغي فهم التعلم كعمل أو فعل فريد أو حدث عابر، انه في العادة أحداث متتالية تعاقب للأفعال والتي تـتم فـي مراحل أو بخـطوات متنوعة . فالتلميذ لا يمكنه اكتساب مفهوم ما من الوهلة الأولى أو عن طريق جرعة وإنما ينبغي عليه القيام بسلسلة من الأفعال والنشاطات ليتمكن من خلالها اكتساب المعارف وتطوير قدراته ومهاراتـه على الاستفادة منها وتطبيقها وهو ما يضفي على التعلم طابع العملية الاستمرارية. فشرح المعلم مثلاً لا يستقـر في ذهن التلاميذ ما لم يقم بتكراره ، والتلميذ لا يمكنه استيعاب موضوع ما بقراءاته لمرة واحـدة ، ولا يحتفـظ الإنسان بمعارفه ما لم يجددها ويطورها باستمرار ، وتتخلف معارفه ويتبلد فكره إذا ما توقف عن التعلم الخ .

5) يتم التمييز بين أنواع مختلفة من التعلم، فهناك التعلم الإستقبالي و التعلم الاسترجاعي والتعلم المنتج والمبدع الخ ، وهو ما يوضح ارتباط عملية الاكتساب لمحتوى تعليمي ما بنوع وبفاعلية طرائق التعلم المستخدمة وهـو مـا يستوجب تطبيق طرائق التعلم التي تتناسب وبنية هذه المادة التعليمية أو تلك أو بحسب الأهداف . بمعنى آخر فإن فاعلية التعلم مرتبطة بالتطبيق المخطط والمنطقي لطرائق التعلم ومناهج التفكير العلمية الصحيحة المنسجمة مـع خصوصية المادة أو المواد التعليمية المختلفة .

6) في ارتباط وثيق بما سبق يمكن التأكيد على خاصية أخرى للتعلم لا تقل أهمية عن الخصـائص السابقـة و هي خاصية التنظيم والترابط . فالتعلم لا يحدث إلا على أساس خبرات ومعارف سابقة ولا تصلح المعـارف الجد يدة المطلقة لأن تكون موضوعًا للتعلم ما لم يتم تخطيطها وتنظيمها ، بحيث تصبح كل معرفة أساس وخلفية لمعر فة تليها لأن التعلم كما أسلفنا لا يعني الإستقبال السلبي والميكانيكي للحقائق وحشو أذهان التلاميذ بالكم من المعارف وإنما عملية لتفاعل التلاميذ النشط معها كشرط لاكتسابها وهو ما يتطلب وجود أسـاس لـديهم لإدراك علاقاتهـا وروابطها بما سبق وتعلموه (*بمعارفهم السابقة بمشاهداتهم بتجاربهم* الخ) يمكنهم من إعادة تنظيـم تصوراتهـم حولها وإدراك موقعها في إطار الحقل المعرفي للعلم المعني ، وفي إطار معارفهم في ذلك الحقل ولـذلك يتحـدث علماء أصول التدريس وطرائق التدريس عن التهيئة ، عن التحفيز ،عن التوجيه نحو هدف الدرس في كل درس جديد لما له من أهمية في استرجاع المعارف السابقة للتلاميذ وربطها بالمعارف الجديدة وتعريفهم على الـ حدود الفاصلة بين ما يعرفونه وما لا يعرفونه كأساس لابد منه لاكتساب المعارف الجديدة .

7) يحدث التعلم في أشكال تنظيمية مختلفة (*المجالات التي يحدث فيها التعلم*) اللعب القراءة ، العمـل المنتـج ، العمل الاجتماعي ، الدرس ، الرحلات والزيارات العلمية والترفيهية وكذا التطبيق الخ .

8) بسبب تنوع مجالات التعلم يتم عادة التمييز بين التعلم المباشر والتعلم غير المباشر. ففي التعلم المباشـر يكـون الفعل موجه بشكل خاص لاكتساب معارف وتطوير قدرات ومهارات محددة الأهداف والمقاصد بينما التعلـم غيـر المباشر يمكن أن يكون اكتساب المعارف والقدرات والمهارات كنتيجة غير مقصودة من الفعل أو النشـاط الـذي مارسه الفرد والموجه أصلاً لغايةٍ أخرى .

التعليم ووظائفه :

تتفق قواميس اللغة على تعريف التعليم ومصدره (علم تعليماً) على انه تأثيرٌ في شخصٍ آخر وجعله ذا ع لم بالشئ ، جعله يتعلم. فالقادر ينقل المعرفة والآخرين يستقبلونها ، فهو يقوم بفعل أو نشاط مـا والآخـرين يقلدونـه أو يرددونه من بعده .

كما يتم التمييز بين التعليم بمعناه الواسع والتعليم بمعناه الضيق . فالمعنى الواسع للتعليم هو كل تأثير واع على شخص آخر ، لإكسابه خبرةٍ ما أو إحداث تغيير في سلوكه. أما التعليم بمعناه الضيق - وهو محور حديثنا - فيقصد به ما يحدث في الدرس، (البحث عن أهداف تعليمه مناسبة وتحديد ما ينسجم معها من محتوى تعليمي وتطبيق طرائـق أو

استراتيجيات تعليمية مناسبة وفاعلة) (كيلار 1991ص212).

أما اشتايندورف (Steindorf ، 1985ص 39) فقد تحدث عن أربعة مضامين للتعليم وذلك على النحو التالي :

- مفهوم شامل ويقصد به أي تأثير أو نشاط أو فعل تلقائي وغير مقصود تكون من نتيجته زيادة في معارف شخص ما . فالحياة تعلم ، يتعلم الإنسان من القضاء والقدر الخ.
- مفهوم أقل شمولاً للتعليم يختلف عن سابقه في كونه بصورة أو بأخرى نشاطاً مقصوداً لكن لا يتخذ طابع التعليم المدرسي وتكون الذات فيه هي الحاملة لوظيفة التعليم ، الديانات أنزلت على الأنبياء والرسل كتعاليم ، الأنبياء والرسل ينقلون تعاليم الخالق لخلقه لذلك فهم يُعلمون ، الخطيب يعظ الناس والأسطى يدرب العا مل والشا عراء بنظمهم للقصائد فهم كذلك يُعَلِمون ، فالتعليم بهذا المعنى يعني نقل التعاليم.
- مفهوم ضيق للتعليم يقصد به كل نشاط مخطط ومنظم وهادف ومنهاجي للتأثير في حدوث التعلم كما هو الحال بالنسبة لنقل المعارف وتطوير القدرات والمهارات والقناعات والمواقف في التعليم النظامي من الروضة وحتى الجامعة .
- مفهوم آخر للتعليم ويعتبر أضيق مفاهيمه ويقصد به ذلك النوع من التعليم المعتمد على العرض الشفوي (*اللفظي*) للحقائق أي يعتمد على اللغة كوسيلة للتعليم(*الشرح تطوير الأفكار* ، *التوضيح* ، *التفسير* ،*التعليل* الخ) كما هو الحال في المحاضرة والتي غالباً ما يتميز بها التعليم الأكاديمي ، وهو ما لا يلق ترحيباً واسعاً في الوسط التربوي من الناحية النظرية على الأقل .

وحدة التعليم والتعلم في العملية التدريسية :

يوضح بهاتيا & بهاتيا (Bhatia & Bhatia 1991 ، ص 38) وكيلار ، (1991 ص 212) ودورينج (Döring 1988 ص 36) وآخرون خطأ اقتصار وظيفة التعليم على نقل المعلومات إلى التلميذ كانتقال النقود من شخص لآخر أو كعلاقة المفتاح بمصباح في دائرة كهربائية ، كما انه لا يمكن فهم وظيفة التعليم دون معرفة علاقته بصنوه التعلم. فالتعليم لا يمكن حدوثه من غير أن يكون هناك تعلم ، لأن التعليم موجه أساسا للتعلم ، وفي المقابل لا يمكن توقع حدوث تعلم ناجح وإيجابي دون التعليم .

على هذا النحو تطورت نظرة جديدة للتعليم لا تقتصر وظيفته على نقل المعلومات إلى التلاميذ فحسب وإنما أكسبته وظائف ثلاث يمكن توضيحها استناداً إلى كلينجبيرج (Klingberg،1989 ، ص 182) فيما يلي :

1. وظيفة التعليم كوسيط (Vermittlung)
2. وظيفة التعليم كمساعد للتعلم (Lernhilfe)
3. وظيفة التعليم كقيادة للتعلم (Führung)

وتعني وظيفة التعليم كوسيط التخلي عن النظرة التقليدية لوظيفة المعلم كناقل للمعلومات أو كما هو شائع توصيل المعلومات إلى التلاميذ والاستعاضة عنها بنظرة حديثة تجعل منه وسيطاً بين التلميذ من جهة وبين المحتوى التعليمي المراد اكتسابه من جهة أخرى . ولأن حدوث التعلم يتوقف على المتعلم نفسه استعداداته وقابليته له وكذا النشاطات التي يبذلها من اجله لذلك فإن التعلم نشاط ذاتي للمتعلم نفسه ويكمن دور المعلم في تطوير هذه الاستعدادات للمتعلم وتخطيط وتنظيم وتحفيز نشاطاته وتهيئته للتعلم وكذا إعداد المحتوى التعليمي في انسجام تام وظروف تعلم التلميذ .

باختصار فإن وظيفة التعليم كوسيط تعني إعداد المحتوى التعليمي من أجل التلميذ وإعداد التلميذ لاكتساب ذ لك المحتوى .

التعليم هو إذن نشاط من أجل التعلم من أجل قيادة التلاميذ للمشاركة النشطة والواعية في تشكيل الدرس بما يساعد في حدوث التعلم والذي لا يمكن للمعلم أن يتولاه عوضا عنه بل تقع عليه مهمة المساهمة في تحقيق الظروف المساعدة لحدوثه والأساليب والإجراءات التي عليه الأخذ بها لتطوير النشاط الذاتي للتلميذ لتمكينه من المساهمة الفاعلة في الدرس .

لذلك ترتبط وظيفة المعلّم كوسيط بوظيفته كمساعد للتعلم ، أي إن إعداد التلميذ من أجل المحتوى التعليمي تستوجب من المعلم تطوير طرائق وأساليب التعلم والعمل لدى التلاميذ وتدريبهم على أساليب التعلم المنظم ، وان المعلم الناجح والجيد هو الذي يعطي أهمية للقوى الإبداعية لتلاميذه ويعمل على تفجيرها والاستفادة منها لتحقيق نوعية عالية للدرس ، وهو ما يعني أيضاً عدم الاعتراف بالمقولات التي تؤكد باستمرار على أن التلميذ موضوع لنشاط المعلم ؛ المعلم يُعلم والتلاميذ يُعلمون المعلم يعرف كل شئ والتلاميذ لا يعرفون شئ المعلم يتكلم والتلاميذ يستمعون إلى آخره من الأفعال التي لا تعطي اعتبار لقدرات وإمكانيات التلميذ التي تساعده وتؤهله لأن يصبح عنصراً فاعلاً في العملية التدريسية لا موضوعاً لها فحسب .

إن التأكيد على النشاط المشترك للمعلم والتلاميذ في الدرس هو تأكيد على علاقة الأخذ والعطاء فالمعلم لا يعلم ويربي وإنما من خلال نشاطه التعليمي يتعلم ويتربى أيضاً وهو كذلك بالنسبة للتلاميذ فهم لا يعلمون ولا يربون وإنما يتعلمون ويتربون ذاتياً أيضاً.

إضافةً إلى ذلك فإن التعلم لا يتحقق بطريقةٍ ناجحة وفي انسجام بأهداف المجتمع ما لم يتم تخطيطه وتنظيمه وقيادته من قبل المعلم وفي هذا تعبير عن المسئولية الشخصية التي يتحملها المعلم لتحقيق السياسة التربوية للمجتمع المتمثلة في تزويد التلاميذ بتعليم علمي عام في جميع المجالات وتربيتهم تربية علمية صحيحة وتنشئتهم التنشئة الصالحة المستمدة أسسها من الثقافة الوطنية والقومية و الإنسانية وبالإستناد إلى دستور البلاد وقانون التعليم.

(فيتحد لذلك نشاط المعلم { *التعليم* } بنشاط التلاميذ { *التعلم* } ليكونا بذلك عملاً تربوياً نوعياً ومميزاً وهو تأكيد على النوعية التربوية للدرس كشكل منظم للتعليم والتعلم ووسيلة ضرورية لتطوير الشخصية ، وسيلة لتربية وتعليم الإنسان والحقل الرئيسي للتعليم والتربية). (لابس، هـ. 198 ص387) ، (كلينجبيرج ،1984، ص54) وكذلك (هاينتسا ، ك. Heinze 1984، ص26).

لذلك يتجلى مضمون وجوهر الدرس في وحدة نشاطات التعليم والتعلم ويتحقق نجاح العملية التدريسية على أساس استيعاب علاقة التأثير المتبادل بينهما.

من هذا المنطلق تعرضت التعريفات التي تم استعراضها مسبقاً وخاصة تلك التي اعتبرت طرائق التدريس بأنها :

1) وسائل نقل المعارف .

2) وسائل وأدوات عمل للمعلم .

3) وسائل مساعدة للتعلم

لانتقادات كثيرة والتي من أهمها إنها جعلت من التلميذ موضوعاً لنشاط المعلم ، لا كعنصر فاعل في العملية التدريسية ، وأهملت دور النشاط الذاتي للتلميذ باعتباره خاصية أساسية للتعلم وشرطا لأبد مـ نه لحدوثه ، وتطورت تعريفات لطرائق التدريس تجعل منها أساليباً وإجراءات للتعليم والتعلم أساليباً وإجراءات للمعلم والتلاميذ على حد سواء فيما يلي نماذج منها :

- **عرف كلافكي (Klaffki ، 1976 ، ص 58) طرائق التدريس بأنها (أساليب وإجراءات التشكيل المخطط والمنظم لعمليات التعلم ، وهي لذلك أساليب تنظيم وتنفيذ للتعليم والتعلم).**
- **ويوضح دانيلوف (1978 ، ص 48) علاقة التعليم بالتعلم من خلال تعريفه لطرائق التدريس باعتبارها (نظاماً من الأفعال الواعية والهادفة من أجل تنظيم النشاط المعرفي والتطبيقي للتلميذ وتأمين اكتسابه الذاتي للمحتوى التعليمي . وبكلمات أخرى فإن طرائق التدريس تشترط التأثير المتبادل المستمر بين المعلم والتلميذ ، أي إن المعلم ينظم نشاط التلميذ بموضوع التعلم ومن خلال هذا النشاط يكتسب التلميذ المحتوى التعليمي).**
- **وفي الاتجاه نفسه يعرف (كنوشيل Knöchel ، 1984 ، ص 168) طرائق التدريس بأنها الأساليب والإ جراءات المساعدة في تحقيق تفاعل المعلمين والمتعلمين بمحتوى الدرس وتحقيق أهدافه).**
- **أما مايار (1991 ، ص 45) فقد عرف طرائق التدريس بأنها الأساليب والإجراءات التي فيها وبها يكتسب المعلم**

والتلاميذ الواقع (Wirklichkeit) الطبيعي والاجتماعي من حولهم على أساس الظروف المؤسسية).

وهي (سلسلة مركبة ، Complex) من إجراءات المعلمين والمتعلمين يتم من خلالها النقل والاكتساب الهادف لمحتوى الدرس والتعرف على نتائجه وكذا تقويمه (لابس1978، ص39). (استخلاص عام)